

الفكر الخلدوني المعقول واللامعقول

أهداف التعليم

- التعرف على خصوصيات الفكر الخلدوني

- التعرف على الفكر التاريخي الخلدوني

- التعرف على المعقولية في التاريخ

- التعرف على اللامعقول في التاريخ .

إذا كانت الكتابات التاريخية الكلاسيكية عند العرب والمسلمين قد تميزت بإعتمادها على الراوي وإهمال الرواية ، وأعطت الأهمية القصوى للسند وأهملت المتن ، فإن هذا الأمر جعل المعرفة التاريخية في التاريخ العربي الإسلامي تعتمد كلياً على الأحداث الأسطورية والحكايات الخيالية . هذا الوضع دفع ابن خلدون إلى محاولة إعادة الإعتبار لهذا العلم وذلك بوضع أسس متينة تبنى عليها الحقيقة التاريخية . ولهذا نجد فيلسوفنا أبداع طرقاً جديدة سواء أكان على مستوع الموضوع أو على مستوى المنهج ، وبالتالي إعتبار المعقول واللامعقول كأساسين لقياس الحقيقة التاريخية ، وإعتبار الأول أي المعقول المعيار الرئيسي لكتابة التاريخي .

وعلى كل حال ، فلقد كان النقد الخلدونيلمناهج المؤرخين المسلمين بمثابة تنبيه لغياب دور العقل في تحقيق الأخبار التاريخية والإقتصار على الرواية كسبيل وحيد لدراسة التاريخ ، الشيء الذي تولد عنه تراجع في قيمة التاريخ العربي الإسلامي . ولهذا كان الإبداع الخلدوني في مجال التاريخ يتمثل في إعادة الإعتبار للعقل وتمثله كعنصر أساسي في الدراسات التاريخية وهذا ما يسمونه بالمعقولية التاريخية .

-العقلانية

في اللغة : تعود الكلمة في أصلها اللغوي إلى كلمة { عقل } وكثيرة هي المعاني التي تدل

عليها اللفظة التي هي مصدر: عقل ، يعقل ، عقلاً ومعقولاً . ويقال عقل عقلاً : أدرك

الأشياء على حقيقتها ، والغلام أدرك وميز . وقيل أيضاً " عقل الغلام : أدرك وميز ، بلغ

سن الرشد ، الصلاة فرض على المسلم البالغ العاقل - ما فعلت هذا منذ عقلت - عقل فلان بعد الصبا : أدرك الخطأ الذي كان عليه".-العقلانية في الإصطلاح : Rationalisme هي القول بأولوية العقل في الحكم على الأشياء وتقديمه على غيره ، ومنها القول أن الوجود كله وجود عقلي . وهي إتجاه فكري يرى أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة ويزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الإستدلالالعقلي بدون الإستناد إلى التجربة البشرية ، فأول شيء يجب على الإنسان معرفته هو أنه يمتلك ملكة التفكير وهي الأداة الأساسية في البرهنة ، والمقياس الذي نميز به بين الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة . يعرف جميل صليبا في

معجمه الفلسفي العقلانية بأنها"القول بأن المعرفة تنشأ عن المبادئ القبلية لا عن التجارب الحسية ، لأنها لا تفيد علما كليا وبهذا يكون المذهب العقلي مقابل للمذهب التجريبي الذي يزعم أن كل ما في العقل كتولد عن الحس والتجربة". وتعود العقلانية إلى تلك

النزعة الفلسفية التي تجعل العقل أساس بناء المعرفة بما يتوفر عليه من قواعد ومبادئ ضرورية {المنطق الارسطي} وأفكار فطرية {المنهج الديكارتي} ومبادئ قبلية {الأطر القبلية الكانطية} غير مستمدة من التجربة. وهي تعتبر العقل ملكة ذهنية بها ندرك المعرفة ونصدر الأحكام ونحدد السلوك ، والعقل واحد بين الناس.

ووفق هذا نستنتج أن المعقولية حسب التعريفات المشار إليها أعلاه تتلاقى كلها في خط واحد وهو أن العقلانية هي المذهب الذي يضع العقل كمعيار لكل معرفة سابقة عن كل تجربة . أما

مصطلح المعقولية :Intelligibiliteفهو من ناحية الإشتقاق اللغوي مأخوذ من : معقول Intelegible والمعقول كما هو شائع لدى العامة هو ما يمكن تصوره أو إدراكه ، بينما اللامعقول هو كل ما ينافي ويناقض العقل . ولهذا المعنى فاللامعقول هو" المناقض للعقل أو الغريب عنه ، ويقابله المعقول ، فاللامعقول إذن هو الذي يجاوز حدود العقل ، أو الذي يقف عند التغيير المنطقي للأشياء ، وهو اللامفهوم الذي لا نستطيع إدراكه أو تفسيره

بأسباب مقبولة في العقل، واللامعقول هو اللامنطقي".

أما المعقولية من ناحية الإصطلاح ، فيعرفها جميل صليبا بأنها تمثل " صفة المعقول ، ومبدأ المعقولية يعني أنه يمكن إرجاع كل موجود إلى قوانين العقل الأساسية سواء أكام هذا العقل إنسانيا أم عقلا أعلى من العقل الإنساني ، فإذا شك الفيلسوف في أحد الموضوعات لم يشك في معقوليته في ذاته ، بل شك في قدرته هو على إدراك ذلك الموضوع ومعرفته ، . وإذا قال أن للشيء معقولية عنى بذلك أن له صورة عقلية تفسره ، ومبدأ المعقولية الكلية شبيه بمبدأ السبب الكافي . ومعنى ذلك أن الوجود الحقيقي وجود معقول" .

بعد أن قمنا بتحديد مفهومي العقلانية والمعقولية ، ووفق لما حللناه أمكننا القول أن العقلانية إتجاه فكري {مذهب} يرى أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة وهو قبلي في الذهن ، في حين أن المعقولية تكون عبارة عن صفة يوصف بها شيء ما فنقول مثلا أن هذا الأمر معقول أو تفسير معقول ، وهو على عكس العقلانية أمر قبلي عقلي وبعدي واقعي. إن المعقولية التاريخية "أو معقولية الوقائع التاريخية ، هي تلك الوقائع التاريخية التي يقبلها العقل ومنطقه والواقع نفسه ، حيث يكون فهم التاريخ فهما معقولا إذا تطابق مع معقولية العقل والمنطق والواقع ، وبهذا تكون المعقولية التاريخية بخلاف الأسطورة التي هي متخيل لوقائع حدثت تتناقض مع قوانين الحياة والطبيعة والمجتمع ، لأن الأسطورة متخيل إنساني لأحداث لا تنتمي إلى المعقول ولا إلى الواقع المحكوم بعلاقات سببية واقعية موضوعية".

أسس المعقولية التاريخية في الفكر الخلدوني :

من بين الأسس التي تقوم عليها المعقولية التاريخية الخلدونية ذلك الدور الذي تلعبه "معقولية الحاضر في إبراز وفهم معقولية الماضي ، أو الدور الذي يلعبه الحاضر في فهم الماضي ، حيث يعتبر الحاضر معيارا لما يمكن أن يحدث في الماضي ، فقوانين الإجتماع الإنساني وهي حدود الممكن في هذا المجال مشاهدة بالنسبة إلينا ، ولذلك يجب على المؤرخين عند تقديمهم لرواياتهم عن أحداث الماضي أن يقيسوا : الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب". كما هناك أسس أخرى للمعقولية التاريخية الخلدونية منها علم العمران البشري . حيث أن

للإجتماع الإنساني " قوانين يخضع لها وكل ما يخرج عنها يكون لا معقولا بل مستحيلا ،
وهذه القوانين هي ما يمكن قياس أساسه ، لأنها أساس للتأكد من معقولية الأحداث التاريخية
فهي كما يؤكد : قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه
برهاني لا مدخل للشك فيه".

ومن جهة أخرى فالظواهر التاريخية هي في طبيعتها وجوهرها ظواهر إجتماعية وهي بذلك
تتنافى مع كل ما هو أسطوري ومقدس " عن تعقل وفهم الإنسان الذي أحدثها ، وإذا كانت
الظاهرة التاريخية ظاهرة إجتماعية فهي بذلك تكون قابلة للملاحظة والدراسة والمقارنة ، ومن
ثمة قابلة للتعقل ، ومنه فإن الوقائع التاريخية معقولة عندما تتدرج ضمن سيرورة مجتمعية "
يعتبر ابن خلدون الظواهر التاريخية ظواهر معقدة ومتنوعة المجالات ويدخل في تكوينها
الكثير من العناصر الثقافية والإجتماعية والإقتصادية والجغرافية وغيرها . فالحدث التاريخي "
ليس بسيط ، بل هو ظاهرة معقدة متعددة الوجوه والجوانب يحتاج تفسيره إلى الكثير من
الحذر".

وكأخر أساس للمعقولية التاريخية يؤكد ابن خلدون على ضرورة ربط الحدث التاريخي بمجاله
الزماني والمكاني ، بحيث ان " الحدث التاريخي لكي يكون معقولا يجب أن يوضع في سياقه
الزماني والمكاني ، فبدونها يفقد الحدث التاريخي معناه ومعقوليته".